

دراسة مبدأ الخدمات العامة من وجهة نظر نهج البلاغة (مبادئ الحقوق العامة وأسسها)

أحمد أكبرزاده^١، سيد محمد صدري^٢، علي رضا دل أفكار^٣

١. مربية في قسم الفقه ومباني الحقوق الإسلامية بجامعة پیام نور بمحافظة خراسان الجنوبي، إيران. (الكاتب المسؤول) (mahdy_1338@yahoo.com)

٢. أستاذ مشارك في قسم الفقه ومباني الحقوق الإسلامية بجامعة پیام نور طهران، إيران. (smsadri42@gmail.com)

٣. أستاذ مشارك في قسم علوم القرآن والحديث بجامعة پیام نور طهران، إيران. (delafkar@pnu.ac.ir)

تأريخ القبول: ١٤٣٩/٧/٢٣

تأريخ الاستلام: ١٤٣٩/٥/٢٣

Recognition of the Origin of Public Services and the Principles governing them in Nahj-ul-Balagha

Ahmad Akbarzade¹, Sayyed Mohammad Sadri², Alireza Delafkar³

1. Lecturer, Department of Jurisprudence and the Foundation of Islamic Law, Payame Noor University (Corresponding Author) (mahdy_1338@yahoo.com)

2. Associate Professor, Department of Jurisprudence and the Foundation of Islamic Law, Payame Noor University (smsadri42@gmail.com)

3. Associate Professor, Department of The Qur'an and Hadith, Payame Noor University (delafkar@pnu.ac.ir)

Received: 10/April/2018

Accepted: 25/September/2018

Abstract

Public services as one of the fundamental principles of public right is a benevolent activity which is provided by a governmental organization or private sectors on behalf of the government. This principle is so important that if a government fails to provide such services, it will lose its qualification for governing. This paper is presented in two sections. In the first section, attention is primarily given to the concept of the principle of public services in public rights. Secondly, the importance of this principle in Imam Ali's speeches and behaviors as an Islamic ruler is highlighted. As it is clear in Nahj-ul-Balagha the government is required to provide public services in various fields which are called for by the public. Imam Ali, as an Islamic ruler, has frequently proclaimed that he did fulfill such a governmental obligation. Since the key to public services is connected to a series of principles, the second section extracts these principles from Nahj-ul-Balagha. Imam Ali asks the governing body to provide services for the public which are based on the principle of equality, patience, continuity, and reliance on God.

Keywords: Public Rights, Public Services, Nahj al-Balagha, Citizenship rights.

الملخص

تعتبر الخدمات العامة من المبادئ البنوية للحقوق العامة، وهي عبارة عن الفعاليات العامة التي تقوم بها الحكومة أو أي كيان خاص نيابة عن الحكومة، ويحظى هذا المبدأ بأهمية كبيرة لدرجة أن الدولة التي تفتقر إلى القدرة على تقديم الخدمات العامة، تفقد الجدارة في البقاء. ويعتبر الإمام على (ع) أيضًا أن أحد واجبات الحكومة يتمثل في تقديم الخدمات العامة ويعتبر إهمالها من عدم كفاءات الحكومة. فالنصوص في نهج البلاغة تدلّ على أنّ الحكومة ملزمة بتقديم الخدمات العامة في المجالات الاجتماعية والثقافية والتعليمية والعسكرية والقضائية والإدارية والمالية والتجارية والصناعية وابعثه نموذجًا عمليًا إداريًا فهو يتطرق للتعبير عن الخدمات العامة التي تقدمها الحكومة العلوية ويتناول قضايا ثقافية وتربوية وتعليمية وقانونية وأمنية. من وجهة نظر نهج البلاغة، يجب أن تقوم الخدمات التي تقدمها الحكومة لعامة الناس على مبادئ المساواة والصبر والاستمرارية والتوكل على الله وعدم المنه، بحيث تلتزم الحكومة نفسها بهذه المبادئ.

الكلمات المفتاحية: الحقوق العامة، الخدمات العامة، نهج البلاغة، حقوق المواطنين على الحكومة.

المقدمة وإشكالية البحث

والمستأجرين وأرباب العمل والأجراء والتجار والعملاء والضباط والجنود وجباة الضرائب ودافعو الضرائب وما إلى ذلك. وتمثل الحقوق مجموعة من هذه القواعد وتقوم بتنظيم كافة هذه العلاقات. هذه هي طبيعة أي مجتمع متحضّر يبذل قصارى جهده لتجنب العنف. ومع ذلك، فإنّ كل نوع من هذه العلاقات يقود إلى قاعدة خاصة، والحق العام هو شكل من أشكال العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين من يملكون السلطة ومن يطيعون السلطة. أصبحت الحقوق العامة في الوقت الحاضر بالغة الأهمية، وعلى الرغم من مشاركة المواطنين على نطاق واسع في ممارسة السلطة، فإن وجود سلطة سياسية وإدارية هو من السمات الأساسية للمجتمعات الحديثة (دومشيل ولالومي، ١٣٧٦: ١١) في فلسفة الحقوق، عندما يجري الحديث حول أساس الحقوق، يفترض بنا العثور على المصدر الأساسي كأمر إلزامي. بناء على الهدف الرئيسي نفسه، فإن السؤال الأول الذي يجب طرحه هو لماذا يجب أن يطاع القانون؟ من أين تنشأ قوة نفاذ الحقوق؟ في مبادئ الحقوق العامة، يتم تتبع هذه البحوث على نطاق أضيق (كاتوزيان، ١٣٨٣: ٧) ومن أهم مبادئ الحقوق العامة مبدأ الخدمة العامة. ولا يستثنى المجتمع الإسلامي الذي يتميز بنظامه الحقوقي الخاص به. ولذلك، ينبغي دراسة مبدأ الخدمة العامة تحت عنوان مبادئ الحقوق العامة في المصادر الإسلامية. أحد هذه المصادر هو نهج البلاغة. ونظرًا لعدم إجراء أبحاث خاصة حول مجال بحثنا في نهج البلاغة، يبدو أن إجراء هذا البحث أمر ضروري.

خلفية البحث

أجريت بعض البحوث حول مبدأ الخدمة العامة تحت عنوان مبادئ الحقوق العامة وأسستها ضمن إطار المقالات والكتب. ومن بين الأبحاث التي أجريت فيما يتعلق بنهج البلاغة، لم تلاحظ أية بحث حول الموضوع قيد البحث. ولكن سنذكر فيمايلي بعض مبادئ الحقوق العامة تحت عناوين أخرى تلاحظ في أجزاء من البحوث:

أ) الكتب

١. غرجي (١٣٨٩) في كتاب "أسس الحقوق العامة":

يحتاج الشخص الحكيم إلى النظم من أجل أن يحيا حياة اجتماعية وأن يرى كل شيء مبنياً على القانون، ولكن الحياة المنتظمة ليست كل ما يحتاجه الإنسان. الإنسان عطش للعدالة ولا ينفعه النظام في السجن. وعلاوة على ذلك، فقد أظهرت التجربة أنه يعمد إلى مخالفة النظام من أجل الإطاحة بقسوة الظلم. ولذلك فإنّ قيمة النظام تكمن في كونه مقدمة للعدالة (كاتوزيان، ١٣٨٣: ٤) وبناءً على هذه الحاجة، قَبِلَ البشرُ المجتمعَ المدني والحكومة. ومع خضوع الإنسان للحكومة فقد أصبح المجتمع مكوّنًا من شريحتين هما الرئيس والمرؤوس (بيرون، ١٣٩٣: ٦٦) وتدور جميع المناقشات الرئيسية حول تنظيم العلاقة بين الشريحتين. ولتنظيم العلاقة بين هاتين الشريحتين، أنشئ فرع من علم القانون تحت عنوان "الحقوق العامة". وبالتالي، فإن السجل التاريخي للحقوق العامة يرتبط ارتباطاً مباشراً بتاريخ الحكومة (بيرون، ٢٠١٤م: ٦٦) وهكذا، يذكر في تعريف الحقوق العامة أنها علاقات الأفراد بالمجتمع (والذي يمثل وحدة سياسية) أو مع المرافق العامة لهذا المجتمع (مثل الإدارات والوزارات)، وكذلك العلاقات بين اثنين أو أكثر من المجتمعات (مثل علاقات البلد مع البلدان الأخرى) أو مؤسستين عامتين أو أكثر (جعفري لنكرودي، ١٣٦١: ١٦) تعتبر الحقوق العامة بصفتها فرعاً من علم القانون ذات مبادئ أساسية، أهمها مبدأ الخدمة العامة (غرجي، ١٣٨٩: ٩٧) وتتماشى الخدمات العامة مع تلبية احتياجات عامة الناس. وتختلف الاحتياجات البشرية من وقت لآخر، حيث لم يكن البشر قادرين على تلبية جميع حاجاتهم، ومنذ المراحل الأولى للحضارة، كانوا يعتبرون أن السلطة الحاكمة مسؤولة عن بعض الشؤون. ولكن مع تقدم الحضارة الإنسانية، تتغير احتياجات الناس أيضًا، حيث أصبح وجود الدولة والسلطة الحاكمة أكثر أهمية في تلبية هذه الاحتياجات تدريجيًا وتم تشكيل الخدمات العامة. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هي منزلة مبدأ الخدمات العامة في نهج البلاغة كمصدر إسلامي موثوق؟ الجواب على هذا السؤال هو الهدف الرئيسي من هذه المقالة.

أهمية البحث وضرورته

توجد في جميع المجتمعات علاقات وفيرة كثيرة بين الملاك

مفهوم الفتنة من منظور نهج البلاغة / ٥٣

أ) الخدمة العامة عبارة عن نشاط عمومي تتم الموافقة عليه من قبل الحكومة أو المشرّع، ويتم اتخاذ قرار القيام به وتنفيذه من قبل الشخصية الاعتبارية للحقوق العامة. كما تُعرّف الخدمة العامة بأنها نشاط عام يقوم به كيان خاص وفقاً لقواعد قانونية محددة تتضمن امتيازات أو واجبات (عباسي، ١٣٩٣: ١٩٧).

ب) الخدمة العامة عبارة عن نشاط ضروري لتحقيق المصلحة العامة. وبهذا المعنى، تعتبر الخدمة العامة نشاطاً يتمثل في توفير المرافق وتقديم الخدمات (رضايي زاده، ١٣٨٥: ٢٢٥).

ج) الخدمات العامة هي الخدمات اللازمة لتلبية الاحتياجات وتوفير المصلحة العامة ولا تخضع للعلاقات الحرة أو قواعد الحقوق الخاصة، وتقوم الحكومة بإدارتها أو ممارسة الرقابة عليها بطريقة أو بأخرى. (إمامي واستوار سنكري، ١٣٨٨: ٣٨).

د) التعريف الماهوي أو الوظيفي للخدمة العامة هو الأفعال التي يقوم بها شخص سعياً لتحقيق المصلحة العامة. (گرجي، ١٣٨٩: ١٠٩).

هـ) تقتصر الخدمات العامة على تلبية الاحتياجات العمومية حيث يقرر رجال الدولة في فترة زمنية معينة تلبية تلك الاحتياجات من خلال مؤسسات القطاع العام أو الحكومي. (موسى زاده، ١٣٨٦: ٥١).

وهكذا يمكننا التعبير عن جميع التعاريف الواردة في هذا الصدد بأن الخدمات العامة تمثل نشاطاً عاماً تتم ممارسته وفقاً لقواعد الحقوق العامة من أجل تلبية الاحتياجات العامة للمجتمع من قبل المؤسسات الحكومية والكيانات الخاصة نيابة عن الدولة.

أنواع الخدمات العامة وكيفية التعامل معها

تقسم الخدمات العامة إلى ثلاثة أنواع:

١. الإدارية العامة مثل الخدمات الصحية والتعليمية
٢. الصناعية والتجارية العامة على شكل إنتاج وتبادل
٣. المهنية والاجتماعية العامة على شكل نقابات عمالية مثل نقابة الأطباء ونقابة المهندسين ونقابة المحامين. (موسى زاده، ١٣٨٦: ٥٤-٥٣).

تحدث عن مبادئ الحقوق العامة وأسسها وتطرق إلى مفهوم مبدأ الخدمات العامة ومنزلته في الحقوق العامة.

٢. عباسي (١٣٩٣) في كتاب "أسس الحقوق العامة": شرح ١٢ مبدأً من المبادئ والأسس الخاصة بالحقوق العامة ويبيّن منزلة مبدأ الخدمات العامة في الحقوق العامة والأسس التي تحكمه.

٣. ماندغار (١٣٨١) في كتاب "الاستراتيجيات السياسية لنهج البلاغة": تطرق إلى بيان مفاهيم الأمن والرفاهية والتربية كأهداف للحكومة في نهج البلاغة.

٤. دلشاد (١٣٧٧) في كتاب "حكومة الحكمة": بين مفهوم الحكومة وضرورتها ومنشأها وحقوقها تحت عنوان أهداف الحكومة، وشرح مفاهيم العدالة والأمن والرفاهية والتربية من وجهة نظر نهج البلاغة.

ب) المقالات

١. غرجي (١٣٩٠) في مقالة "عشرة دساتير في الحقوق العامة، لمحة عن مبادئ الحقوق العامة ومفاهيمها البنوية": يبيّن وجود المفاهيم المتعددة للحقوق العامة وتطرق إلى شرح عشرة منها. أحد أهم هذه المبادئ مبدأ الخدمات العامة.

٢. سلطان مرادي، هايبلي (١٣٩٠) في مقالة "حقوق الإنسان في نهج البلاغة": تطرق إلى مفاهيم الخير والعدالة الاقتصادية والرفاهية الاجتماعية ومتابعة شؤون العمّال وحاجات الشعب والتعليم والتربية والأخلاق الحسنة في التعامل مع الناس تحت عنوان "حقوق الشعب على الحاكم".

مبدأ الخدمات العامة

يعتبر مفهوم الخدمات العامة أحد المبادئ الأساسية للحقوق العامة، حيث تعتمد شرعية الدولة على نسبة الخدمات العامة التي تقدمها بالفعل، تلك الخدمات اللازمة لحياة الناس واحتياجاتهم المادية والمعنوية. لذلك إذا لم يكن لدى الحكومة القدرة على القيام بهذا الواجب أو لم تكن تعرف كيفية القيام بذلك، فسوف تفقد جدارتها في البقاء (كاتوزيان، ١٣٨٣: ٤٩).

الخدمات العامة اصطلاحاً

هناك عدة تعاريف في سياق هذا المفهوم نشير إليها فيما يلي:

٤. مبدأ عدم الانحياز

ويحظر هذا المبدأ أي تحيُّز يؤدي إلى التمييز في أداء الخدمات العامة ويعتبره معارضاً لمبدأ المساواة (م. ن: ٢٠١) ويبدو أن مبدأ عدم الانحياز ومبدأ المساواة هما وجهان لعملة واحدة (رضايي زاده، ١٣٨٥: ٢٣٧).

٥. المجانية

ويعتبر بعض الكتاب أن مبدأ الخدمة العامة المجانية هو أحد المبادئ الأساسية في هذا المجال (م. ن: ٢٣٥) ويعتقد مورسين هورير أن الخدمات العامة يجب أن تكون مجانية ويجب أن يتم توفير تكاليفها من الإيرادات العامة والضرائب (عباسي، ١٣٩٣: ٢٠٢).

مبدأ الخدمات العامة في نهج البلاغة

تتمثل إحدى أهم فلسفات الحكومة في تقديم الخدمات للشعب، ومن هذا المنطلق فإنَّ الوكلاء والموظفين في كل منصب هم خُدَّام للشعب. هذا الأمر مبدأ أساسي في النظام الإداري (كاتوزيان، ١٣٨٣: ٤٩) وطالما أن هناك مثل هذه الأحاسيس، فلن يتصرف مسؤولو الحكومة أي تصرف ينطوي على الشعور بملكيتهم للشعب أو ترؤسهم لهم. يقول أمير المؤمنين (ع) في حكمة وجهها إلى جابر بن عبد الله الأنصاري: «مَنْ كَثُرَتْ [نِعْمَةٌ] نِعْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ فَمَنْ قَامَ لِلَّهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدُّوَامِ وَالْبَقَاءِ وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزُّوَالِ وَالْفَنَاءِ» (الحكمة: ٣٧٢).

ومن النعم التي أنزلت على بعض الناس، نعمة الحكومة التي توضع تحت تصرف بعض الأفراد كأمانة، وكما يقول أمير المؤمنين (ع)، من كثرت نعمه كثرت عليه حوائج الناس. وفيما يتعلق بالحكومة، فإنَّ متابعة هذه الحوائج كمهمة يسمي خدمة ونظراً لأنها تخدم المصالح العامة فهي تسمى "الخدمة العامة" (گرجی، ١٣٨٩: ١٠٩) إن الدولة التي تفشل في أداء هذه المهمة أو لاتعرف كيف يقوم بهذا الواجب فسوف تفقد جدارتها في البقاء (كاتوزيان، ١٣٨٣: ٤٩).

يعتبر على (ع) أن تقديم الخدمات العامة وظيفة الحاكم ويرى أن إهمالها أمر يتنافى مع كفاءة الحاكم. بعد أن دعا

وعادة ما تتم إدارة الخدمات العامة بثلاث طرق:

(أ) تقدمها الحكومة حصرياً مثل الخدمات المتعلقة بالطاقة الذرية والنفط.

(ب) تقدمها الحكومة والقطاع غير الحكومي بالشراكة، مثل الخدمات الصحية والطبية.

(ج) يقدمها القطاع غير الحكومي، مثل الخدمات التي تقدمها النقابات العمالية والكتاب العدل (موسى زاده، ١٣٨٦: ٤٣-٤٢).

مبادئ الخدمات العامة

ويتمثل الغرض من الخدمات العامة في تلبية الاحتياجات العامة والحفاظ على المصلحة العامة. وبالتالي فإنَّ الخدمات العامة تستند إلى ركائز تقوم على ثلاثة مبادئ متفق عليها من قبل خبراء الحقوق وتمثل في الاستمرارية والمساواة والتطابق، وعلى مبدأين آخرين هما مبادئ المجانية والحياد واللذان لم يحظيا بإجماع الجميع (رضايي زاده، ١٣٨٥: ٢٣٢).

١. مبدأ المساواة

وبالنظر إلى المبدأ العام المتمثل في المساواة بين المواطنين أمام القانون والسلطة العامة، وبما أن الخدمات العامة تقدم إلى عامة الجمهور، فإنَّ مبدأ المساواة ينص على أن يتمتع جميع الأشخاص بالتساوي من حيث الفوائد والمنافع والواجبات الناشئة عن الخدمات العامة والإنفاق العام بهدف توفير المصلحة العامة (عباسي، ١٣٩٣: ٢٠٠).

٢. مبدأ الثبات أو الاستمرارية

يجب تقديم الخدمات العامة بشكل مستمر دون توقف (إمامي، استوار سنغري، ١٣٨٨: ٤٠).

٣. مبدأ التطابق

وينبغي للخدمات العامة، وفقاً لحاجاتها ومتطلباتها، أن تكون دائماً قادرة على التكيف مع التغييرات المحتملة في المصلحة العامة. ويستند مبدأ التطابق إلى فكرة أن احتياجات الحياة الاجتماعية تتغير باستمرار، وتتطلب المصالح العامة أن تتلاءم المؤسسات الإدارية باستمرار مع هذه الاحتياجات (عباسي، ١٣٩٣: ١٩٨).

وَالِاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ» (الرسالة: ٥٣).

ب) الخدمات الثقافية والتعليمية

بيّن الإمام على (ع) هذا القسم من الخدمات في الخطبة ٣٤ من نهج البلاغة تحت عنوان حقوق الشعب على الحاكم في ثلاثة أفرع:

١. الخدمات الأخلاقية: "النصيحة لكم" في السر والعلانية وتشجيع الناس على محاسن الأخلاق ومكارم الآداب وما فيه خير لهم في الدنيا والآخرة (هاشمي خوئي، ١٤٠٠: ٧٤/٤).

٢. الخدمات التعليمية: «تَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا» تعليم الناس ما فيه خير لهم في الدنيا والآخرة لكي لا يجهلوا (أحمدي ميانجي، ٥١٤١٩، ٦٢٢/١).

٣. الخدمات التربوية: «تَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا».

ج) الخدمات العسكرية

تنص رسالة الإمام على (ع) إلى مالك الأشتر على الخدمات العامة التي يمكن تقديمها عن طريق الجيش وهي:

١. حصن الرعية المنيع: «خُصُونُ الرَّعِيَّةِ»
٢. زينة الولاية: «زِينُ الْوَلَاةِ»
٣. سبب عزة الدين: «عِزُّ الدِّينِ»
٤. طريق تحقيق الأمن ونشره: «سُبُلُ الْأَمْنِ»
٥. ثبات شؤون الرعية: «لَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ»

وعندئذ يبين الإمام على (ع) أنه وبالإضافة إلى الخدمات التي قدمها الجيش للرعية فعليه أن يقوم بما يلي:

- أولاً؛ تادية الخدمة تحت إدارة الحكومة: «فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَإِلَامِكَ وَأَطْهَرَهُمْ»
- أَنقَاهُمْ جَبِيًّا وَأَفْضَلَهُمْ جَلَمًا» (الرسالة: ٥٣).
- ثانياً؛ الخضوع لرقابة الحكومة: «ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدَيْهِمَا» (الرسالة: ٥٣).

د) الخدمات القضائية

يتطرق أمير المؤمنين (ع) في هذا الجزء من رسالته إلى مالك الأشتر إلى السلطة القضائية فيأمره بتعيين قاض: «ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضْبِقُ بِهِ الْأُمُورَ وَلَا تَمَحَّكُهُ» (الرسالة: ٥٣). مبيّناً أوصافه وشروطه

الإمام على (ع) الناس إلى قمع معاوية، أجاب الأفراد الذين قالوا سنتحرك معك لو تحركت قائلاً: «لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمَصْرَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَجِبَابَةَ الْأَرْضِ وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّنَظَّرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ ثُمَّ أَخْرَجَ فِي كِتَابَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى أَتَقَلَّبُ تَقَلُّبَ الْقِدْحِ فِي الْخَيْبِرِ الْفَارِغِ وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى» (الخطبة: ١١٩).

أنواع الخدمات العامة

تنقسم الخدمات العامة المذكورة في نهج البلاغة إلى أنواع مختلفة وسوف نشير إليها فيما يلي:

أ) الخدمات الترفيهية

اهتم أمير المؤمنين (ع) في هذا المجال اهتماماً خاصاً ببحث الرفاهية ومعيشة الناس والحقوق التي ينبغي على الحكومة تلبيتها في هذا المجال:

١. أصدر (ع) بلاغاً إلى المخنف بن سليم الأزدي الذي كان يُجبي الضرائب يطالبه فيه بمراعاة حقوق الناس وتلبية حاجاتهم: «إِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَحَقًّا مَعْلُومًا شُرَكَاءَ أَهْلِ مَسْكَنَتِهِ وَضِعْفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ وَإِنَّا مُؤَفِّكُ حَقِّكَ فَوْقَهُمْ حُقُوقَهُمْ وَإِلَّا تَفَعَّلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُومًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبُؤْسَى لِمَنْ خَصَمَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ وَالْفَارُغُونَ وَابْنُ السَّبِيلِ» (الرسالة: ٢٦).

٢. كما وظّف أمير المؤمنين (ع) مالك الأشتر في بلاغ أرسله إليه بالاهتمام بالوضع المعيشي للمحتاجين والفقراء في المجتمع: «ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لِاجِبِلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالرِّمَى فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا وَاحْفَظْ [اللَّهُ] إِلَيْهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ وَقِسْمًا مِنْ غَلَاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى» (الرسالة: ٥٣).

٣. وفي جزء آخر من رسالة الإمام على (ع) إلى مالك، يعتبر على (ع) أنّ الاهتمام بالظروف المعيشية لجميع شرائح المجتمع بما يصلح شؤونهم، أمر من أوامر الله للحكام. بعد ذكره لمختلف شرائح المجتمع، يقول الإمام على (ع): «وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ يَقْدَرُ مَا يُصْلِحُهُ وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَرْزَمَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْاهْتِمَامِ

يقدمون الخدمات التجارية والصناعية قائلًا: «لَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ- [مِمَّا] مَا لَا يَتَلَعُّهُ رَفُوقٌ غَيْرِهِمْ» (الرسالة: ٥٣).

ويقسم الإمام هذه الطبقة من المجتمع إلى ثلاث فئات:

١. التجار المقيمين: «المُقيم منهم» (الرسالة: ٥٣).

٢. التجار الذين يرحلون باستمرار: «المُضْطَرِبُ بِمَالِهِ».

(الرسالة/٥٣) المضطرب من مصدر «ضرب» وعندما

يستخدم على وزن افتعال يتحول حرف «ت» إلى «ط».

ولذلك فإن المقصود من اضطرب بماله، أنه ضرب في

الأرض بماله (شوشتری، ١٣٧٦: ١٠٨/٨٠٧٨).

٣. الصنّاع: «المُتَرَفِّقُ بِبَدَنِهِ» (الرسالة: ٥٣).

وبالنظر إلى أن هذه المجموعات الثلاث هي المصادر

الرئيسية للمصلحة وأسباب الحياة ومعدات الراحة من مواقع

بعيدة وصعبة، فإن النظر في شؤونهم من قبل الحاكم من أجل

تقديم خدمات أفضل أمر مرغوب فيه. يقول الإمام على

لمالك: «تَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَائِشِ بِلَادِكَ»

(الرسالة: ٥٣).

في جزء من الخطبة ٨٧ من نهج البلاغة، يشير أمير

المؤمنين (ع) إلى عدد من الخدمات العامة التي قدمها هو

نفسه كحاكم إسلامي:

١. العمل بالقرآن: «أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالتَّحْقِيقِ الْأَكْبَرِ».

يقول شارحو نهج البلاغة أن المقصود بالثقل الأكبر هو القرآن

الكريم (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٣٠٣/٢) وفقًا لما جاء

في مبدأ الحكومة التي يسودها القانون في الفقه العلوي، فإن

العمل بتعاليم القرآن يعني العمل بالقانون. إن الخدمة الأكثر

جدارة والتي يمكن أن تقدم للشعب من قبل الدولة هي

العمل بالقانون.

٢. رفع راية الإيمان: «قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ»:

ويعنى (ع) براءة الإيمان طريق الهدى الذي يتمثل في العمل

بكتاب الله عز وجل وسنة رسول عليه الصلاة والسلام، ووجه

الشبه يكمن في أن القرآن والسنة النبوية يهديان البشر إلى

الصرط المستقيم كما تهدي الرايات الناس إلى وجهتهم (م

ن، ٣٠٣/٢).

٣. توعية الناس بحدود الحلال والحرام: «وَقَفَّقْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ

معتبرًا أن الرقابة القضائية من وظائف الحكومة «ثُمَّ أَكْبَرُ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ» (الرسالة: ٥٣).

هـ) الخدمات الإدارية

إن المسؤولين التنفيذيين للجهاز الحاكم يلعبون دورًا هامًا في توفير الخدمات الإدارية لعامة الناس، لذلك فإن أمير المؤمنين

(ع) يأمر مالك الأشر بما يلي:

أولًا؛ اختيارهم بالاختيار وليس وفقًا لهوى النفس: «ثُمَّ

انظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّا لِكَ فَاسْتَعْمَلْهُمْ [اخْتِيَارًا] وَلَا تَوَلَّهُمْ

مُحَابَاةً وَأَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعْبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ»

(الرسالة: ٥٣).

ثانيًا؛ تحديد بعض الصفات والشروط لهؤلاء

الأفراد: «وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجَرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ التُّبُوتَاتِ

الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا

وَأَصْحَحُ أَعْرَاضًا وَأَقْلُّ فِي الْمَطَامِعِ [إِشْرَافًا] إِشْرَاقًا وَأَبْلَغُ فِي

عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا» (الرسالة: ٥٣).

ثالثًا؛ الرقابة الدقيقة على أعمالهم: «ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ

وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ» (الرسالة: ٥٣).

و) الخدمات المالية والاقتصادية

تلعب القضايا المالية والاقتصادية دورًا رئيسيًا في المساعدة

على تقديم الخدمات من قبل قطاعات مختلفة، بما في ذلك

الجيش والقضاء والجهاز التنفيذي. إن إحدى طرق تمويل

القطاعات الحكومية التي تقدم الخدمات العامة تتمثل في فرض

الضرائب. ويأمر على (ع) مالك الأشر بهذا الأمر المهم قائلاً

له: «لَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ». (الرسالة: ٥٣)، ويطلب

منه جبي الضرائب والالتزام بحقوق دافعي الضرائب: «وَتَفَقَّدْ

أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا

لِمَنْ سِوَاهُمْ وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ

عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ». (الرسالة: ٥٣).

ونظرًا لأهمية الموضوع، فقد بين الإمام على (ع) في

الرسالة ٥١ من نهج البلاغة قوانين جباية الضرائب والخراج

وأنظمتها في خطابه للمسؤولين.

ز) الخدمات التجارية والصناعية

بين أمير المؤمنين (ع) في البداية مكانة الأشخاص الذين

(ج) «وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ» (الرسالة: ٥٣).
وبعد التعبير عن أن للرعية حقوقاً على عاتق الحاكم، يشير (ع) إلى أن الحاكم لا يمكنه النجاح في هذه الأمور إلا بالسعي والاتكال على الله وإعداد نفسه للحق والصبر في جميع الأعمال السهلة والصعبة.

٣. مبدأ عدم المنة

وهناك مبدأ آخر للخدمة العامة هو مبدأ عدم المنة، لأن المنة تذهب بقيمة الخدمة، والحكومة الدينية حيث تحظى القيم بأهمية خاصة، تتميز قضية عدم المنة بدور مركزي في الخدمة العامة. ولذلك فإن أمير المؤمنين (ع) لا يقبل الخدمة المقترنة بالمنة وينهى عنها: «إِيَّاكَ وَالْمَنَ عَلَى رِعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ... فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ» (الرسالة: ٥٣).

٤. مبدأ الاستمرار

يجب أن تكون الخدمات العامة مستمرة ومستدامة. ينهى أمير المؤمنين مالكاً الأشر عن أن تشغله أعماله الشخصية عن الاستمرار في الخدمة: «فَإِنَّكَ لَا تُعَدُّرُ [بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ] بِتَضْيِيعِكَ التَّافَةَ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهِمِّ فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لَهُمْ وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ وَمَنْ تَفْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ» (الرسالة: ٥٣).

٥. مبدأ الاتكال على الله

كما ذكرنا في البند "ج" حول الصبر، فإن الإمام على (ع) يرى أن الحاكم عليه أن يتوكل على الله لكي يتمكن من تنفيذ مهامه في تقديم الخدمة للناس: «وَأَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلَزَمَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ» (الرسالة: ٥٣).

الخاتمة

الخدمات العامة عبارة عن أنشطة عامة تقدمها الحكومة أو الكيانات الخاصة نيابة عن الحكومة في المجالات الإدارية والصناعية والتجارية والمهنية والاجتماعية، على أساس مبادئ المساواة والاستقرار والاستمرارية، والتطابق وعدم الانحياز والمجانبة.

وقد اهتم أمير المؤمنين (ع) بأن الحاكم لا يجب أن يغفل

الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ»: ويشير هذا إلى الاهتمام بالخدمات التعليمية.
٤. توفير الأمن: «الْبَسْتُكُمْ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي»: المقصود بالعافية الأمان من الأذى على يد الظالمين وكما يبقى الإنسان في أمان من الحرّ والبرد في ملابسه فإن العافية تحمي الإنسان من خطر الظلم (م. ن: ٣٠٣/٢)، وهذا يشير إلى الخدمات العسكرية والأمنية.

٥. الأمر بالمعروف والترويح للخير: «فَرَشْتُكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفَعَلِي».

٦. بيان الفضائل الأخلاقية: «أَرَيْتُمْكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي»: البندان ٥ و٦ يشيران إلى الخدمات الأخلاقية والتعليمية.

المبادئ السائدة في الخدمات العامة

وتعتمد الخدمة العامة التي توفر مصالح الشعب وتلبي احتياجاته على المبادئ التالية:

١. مبدأ المساواة

إن الحفاظ على مبدأ المساواة في العلاقات العامة والإدارية وخدمة الناس ذو مكانة مميزة في الفقه العلوي. يطالب الإمام على (ع) ولاته وموظفيه بالمساواة بين الناس حتى في النظر إليهم. في رسالته إلى محمد بن أبي بكر يقول (ع): «وَأَسْ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ حَتَّى لَا يَطْمَعِ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَلَا يَنْبَأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ» (الرسالة: ٢٧).

٢. مبدأ الصبر

يوصى (ع) ولاته بالصبر أثناء تقديم الخدمات العامة وسنشير إلى عدة أمثلة في هذا الخصوص:

(أ) في رسالة إلى موظفي بين المال، يوصيهم (ع) بالصبر في البت في طلبات الناس: «وَأَصْبِرُوا لِخَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَانُ الرِّعِيَّةِ وَوُكُلَاءُ الْأُمَّةِ وَشُفْرَاءُ الْأَيْمَةِ». أي أنكم أمناء الخزانة وممثلو الرعية في بيت المال ورسول الأئمة: وهذا يعني أن من يكن كذلك فعليه أن يصبر على قضاء حوائج الناس (ابن ميثم البرحاني، ١٣٦٢: ١٣٢/٥).

(ب) في رسالة تلقاها مالك الأشتر وهو وال لمصر، تم تكليفه باختيار قائد للجيش يتمتع ببعض الشروط منها الصبر «أَفْضَلُهُمْ حِلْمًا» (الرسالة: ٥٣).

دلشاد طهراني، مصطفى (١٣٧٧). حكومة الحكمة - الحكومة في نهج البلاغة. طهران: خانه اندیشه جوان.
رضائي زاده، محمد جواد (١٣٨٥). الحقوق الإدارية (١) طهران: نشر ميزان
سلطان مرادي، محمد؛ هاييلي، مريم (١٣٩٠). حقوق الإنسان في نهج البلاغة. السنة ٢، العدد ٥، قم، مجلة الدراسات التفسيرية.
شوشترى، محمد تقى (١٣٧٦). بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة. طهران: انتشارات أمير كبير.
غرجي ازندرياني، علي اكبر (١٣٨٩). أسس الحقوق العامة. طهران: انتشارات جنگل.
كاتوزيان، ناصر (١٣٨٣). أسس الحقوق العامة. طهران: نشر ميزان.
----- (١٣٩٠). «عشرة أوامر في الحقوق العامة؛ تأمل حول المبادئ والمفاهيم البنوية للحقوق العامة». مجلة الحقوق، السنة ٤١ العدد ٢، طهران.
ماندگار، محمد مهدي (١٣٨١). المناهج السياسية في نهج البلاغة. قم: بوستان كتاب.
مكارم شيرازي، ناصر (١٣٧٥). شرح جديد وشامل لنهج البلاغة. طهران: دار الكتب الإسلامية.
موسى زاده، رضا (١٣٨٦). الحقوق الإدارية. طهران: نشر ميزان.
هاشمي خويي، ميرزا حبيب الله (١٤٠٠). منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي) الطبعة: ٤. طهران: المكتبة الإسلامية.

عن تقديم الخدمات العامة وتطرق إلى بيان الخدمات التي قدمها بنفسه كحاكم إسلامي وهي عبارة عن: العمل بالقرآن، الهدى، التعليم، الجيش، الأخلاق والتربية.
وفي رسائله إلى الولاة، يكلفهم أمير المؤمنين بتقديم الخدمات الترفيهية، والثقافية التعليمية، والعسكرية، والقضائية، والإدارية، والمالية والاقتصادية، والتجارية والصناعية.
ويقوم مبدأ الخدمات العامة في نهج البلاغة على المساواة والصبر وعدم المنة والاستمرارية والتوكل على الله.

المصادر

أحمدي ميانجي، علي (١٤١٩). مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. الطبعة ١. قم: دار الحديث.
الشريف الرضي، محمد بن حسين (١٤١٤). نهج البلاغة (للصبي صالح) الطبعة: ١. قم.
إمامي، محمد؛ استوار سنغري، كورش (١٣٨٨). الحقوق الإدارية. طهران: نشر ميزان.
آندره دوميشل؛ بيير لالو مي ير (١٣٧٦). الحقوق العامة. ترجمة أبو الفضل قاضي. طهران: نشر دادغستر.
بحراني، ميثم بن علي بن ميثم (١٣٦٢). شرح نهج البلاغة. دفتر نشر كتاب.
پروين، خير الله (١٣٩٣). أسس الحقوق العامة. طهران: سمت.
جعفرى لنگرودي، محمد جعفر (١٣٦١). مدخل إلى علم الحقوق.